"سـوزان"

لاذت خطواتي البطيئة بالفرار من الجمع الذي كان يسير معي .. لا أريد أن أتحدث اليوم مع أحد ولا أريد أن أستسلم لحديث المشفقين ولا مواساة المواسين .. لا أريد أن يشفق أحد على ذلك العجو ز الذي فقد رفيقة عمره وصار وحيدا بالحياة .. تواصلت خطواتي المنهكة باصرار حتى وصلت للمقهى الذي اعتدت الجلوس فيه منذ زمن .. انتحيت ركناً قصياً وجلست .. جاءني الساقي بعيون متساءلة يكاد يقول لي وماذا احضرك اليوم هنا ايها العجوز لكني نظرت له بهدوء حازم لأسد عجوز حزين فقد أنثاه وأنيسته .. قلت له "فقط قهوتي يا عماد" .. ابتعد الساقي بعدما اشار برأسه علامة الفهم على رغبتي بالاختلاء بنفسي عاد بعدها بدقائق ليضع القهوة أمامي ويبتعد مرة اخرى. كنت أجلس كعادتي في ذلك المقعد المواجه للزجاج حيث بضعة امتار بعدها مزدانة بزهور زاهية ثم رصيف ثم مارة يجيئون

ويروحون .. وجدتني اسبح بعيناي في الوان الزهور متذكرا وجهك الناعم البرئ الذي صاحبني طيلة اربعون عاما هي عمري كله الذي قضيته معك يا حبيبة العمر .. وجهك الذي رأيته في كل احواله منذ كنتِ فتاة قد تخطت العشرين حين تقابلنا .. كنت انا الشاب العابث الذي انهك اسرته من كثرة مغامراته وعدم استقراره .. وكنت انت اميرة متوجه على عرش قلب اسرتك وكل من يحيط بك .. رقيقة جميلة هادئة القلب حسنة المعشر كما يقولون .. ابعد ما تكونين عن القسوة او الغلظة .. كانت لديك ابتسامة تخلب اللب حقاً كشمس تضرب بضوءها مفاجئة ظلام الليل فيجي الصبح فجأة بزهوره وزقزقة عصافيره .. بسعادته وبهجته وأمله .. كل ذلك فقط لأنك ابتسمت .. حين استسلمت لاسرتي وقابلتك اسرتني ابتسامتك ووجدتني لا اريد ان ابرح من امامك .. لاحظت انت تجمدي امام رقتك وهدوءك وابتسامتك فزدت ابتساما وخجلا وزدت انا تعلقاً .. حين عدت لمنزل اسرتي قلت لامي كلمتان فقط "سأتزوج سوزان" .. تجمدت امي للحظة محدقة في ثم قالت : صدقا تتحدث؟ ام انه مقلب من مقالبك ايها الشقي؟

رددت عليها بهدوء .. لا .. ليس بمقلب .. سأتزوجها .. ابدئي باعداد العرس .. ضحكت امي ضحكات جابت المنزل وهي تقول مهلا ايها المتسرع فمازال هناك تفاصيل كثيرة وعلينا أن.. قاطعتها بذات الهدوء قائلاً .. افعلي ما تريدين .. فقط سأتزوجها .. وبالفعل لم تمر شهور قليلة الا وكنت في كنف قلبي يا قلب قلبي .. لا اعلم الى الان ماذا فعلت ابتسامتك بي .. هل كانت بوابة لعالم سحري مررت به فأسرني ذلك العالم للابد؟ ولم اعد ارغب في شيء سوى ان ارى تلك الابتسامة وان انعم بذلك السلام كل يوم .. اسرتني بهدوءك وسلامك عمراً بأكمله يا عمر العمر .. عشت معك عمرا حلوا لا مرارة به .. تحملتني فيه وعشتِ تغدقين على فيه من طيبك وتسامحك الكثير .. حتى في غضبك البشري المتواضع كان اكبر تعبير لك هو الصمت الذي كان يقتلني ويشعرني بالذنب فاهرع لقلبك طالبا المغفرة على ذلاتي .. وكنت تسامحين وتعطين بشكل يدهشني .. كنت تعطين بذات السلاسة التي تتنفسين بها فمن كنت بربك .. هل كنت ملاكا ارسله الله للارض لعدة سنوات كى تمنح الارضيين بعض الرحمة ثم عدت لموطنك بالسماء .. وهل كنت انا على قدر تلك المنحة كى اعيش

بقربك اربعون عاما يا حبيبتي .. انتهيت من شرب قهوتي وأفقت من افكاري على يد رقيقة تربت على كتفي لأجدها ابنتنا التي تحفظ اباها عن ظهر قلب وتعلم وقت الاختفاء اين يكون العجوز .. انهمرت دموعي وانا احتضن ابنتنا التي ورثت منك الكثير .. كانت تربت على كتفي مثلما يربتون على كتف طفل فقد أمه .. ولما لا وقد فقدت رفيقة عمر لن اجد مثلها .. مسحت ابنتي دموعي بكفها الرقيق ودعتني للمضي معها .. استسلمت وسرت معها تاركاً مقهى الذكريات على وعد بالعودة فلم يعد لي غيره بعدك يا حبيبة.

***